



الحياة السياسية بمنطقة توات خلال العصر الوسيط

الباحث: بلحاج ميلود

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

ملخص

تعتبر منطقة توات من المناطق التي حفلت بنشاط علمي وفكري كبير تمثل في زوايا العلم التي تبارت لتدريس كل صنوف العلم التي كانت رائجة في العالم الاسلامي في تلك الفترة، وقدم كثير من العلماء والصالح الذين نزلوا عليها ابتداء من القرن الرابع الهجري وذلك بسبب بعدها عن بؤر التوتر والنزاع التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي والتي صاحبته حوادث سياسية تمثلت في سقوط دول وقيام أخرى وخاصة في المغرب الاسلامي، و شكل تواجد اليهود الجدل الأكبر بالنسبة للعلماء كالونشريسي، الحافظ التنسي و الفقيه السنوسي و ذلك بسبب ما أقدم عليه اليهود كعادتهم من السيطرة على البلدان التي نالوا الإقامة بها و شراء ذمم حكام المسلمين و ذلك كله نتيجة تساهل وضعف الحكم و استغلال اليهود لذلك، و بعد كل هذه الحرب التي أعلنها عليهم المغيلي و شيعته والتي عارضها بعضهم و أيدها آخرون، و انتهت بمغادرتهم البلاد و انتهاء نفوذهم بتوات و وفاة المغيلي بعد نصف قرن من التأليف و التصنيف و الدعوة الى الاسلام في افريقيا.

كلمات مفتاحية: توات-قصور صحراوية-الحضور اليهودي-الحركة العلمية.

Abstract

Considérez comme Touat des régions qui était pleine d'activité scientifique et intellectuelle représentée dans les coins de la science, qui se sont mobilisés pour enseigner toutes sortes de science qui étaient populaires dans le monde musulman à cette époque et l'arrivée de nombreux savants et la justice qui ont afflué du IV^e siècle à cause de l'éloignement des foyers de tension et de conflit le basculement du monde musulman, qui a été accompagnée d'incidents politiques a été la chute d'autres pays et faire en particulier au Maghreb islamique, et la forme de la présence des juifs, la plus grande controverse pour les scientifiques Al_wancharissi, Hafiz Altensee et al-Faqih al-Sanusi et la raison de ce qu'il Juifs, comme d'habitude du contrôle des pays qui ont atteint un Pour la création et l'achat des dettes des souverains musulmans, grâce à la clémence et à la faiblesse des juifs et à

l'exploitation des juifs, et après cette guerre annoncée par les Al_magilli et les chiites, qui finit par abandonner le pays et la fin de leur influence dans Touat et la mort. Après un demi-siècle d'auteur, de classification et de plaidoyer de Dieu en Afrique.

Mots clés : Présence juive dans le désert, Le combat de Maghili contre les Juifs, Mouvement scientifique dans la région.

مقدمة:

لقد عرفت الحضارة الإسلامية أوج ازدهارها، واستطاع الفاتحون العرب البلوغ إلى أقصى المغرب وهذا في أقل من قرن من الزمان وتمكن نور الإسلام أن يغمر قطاعا واسعا من المعمورة، وفي ظرف وجيز توصل إلى صنع حضارة عظيمة حيث ما حل، وذلك بفضل تعاليمه التي تدعو إلى العلم والعمل وكان ذلك واضحا جليا في سلوك أتباعه وتحضرهم.

لقد ساهم العرب مع إخوانهم المسلمين في البلاد المفتوحة في إفادة الإنسانية في شتى مناحي الحياة و لازالت تشهد بذلك الآثار وال عمران وكذا بطون كتب التاريخ، فاهتم المؤرخون بحواضر العالم الإسلامي ومدنه ودونوا التراجم لأعلامه ونوابغه في شتى العلوم ولم يكتف العلماء المسلمين بالعلوم الدينية وحدها بل عكفوا على سائر العلوم الأخرى من طب وكيمياء وفلسفة و غيرها من العلوم الوضعية، ونظروا و غيروا كثيرا من النظريات والقوانين التي كان يعتقد ثباتها وصحتها وقدموا للإنسانية الكثير من منطلق اعتقادهم أن الواجب عليهم إسعاد وخدمة البشرية بالنور والعلم والإيمان ، وسجلوا بأحرف من ذهب على صفحات التاريخ ما شهدته الحضارة العربية من معاني العطاء والتسامح والإخاء وهذا كله في جو من الأخوة واحترام الآخرين وتقديرهم وعدم إلغائهم بل إعطائهم الفرصة للمشاركة بآرائهم وإسهاماتهم، وذلك في حدود احترام ما تمليه قواعد الآداب والأخلاق، فانبرت الأقلام وانطلقت الألسنة لأول مرة في التاريخ متحررة من دكتاتوريات الفرس والروم وغيرهم من طغاة شعوبهم، متفرغة للعطاء والإسهام والإبداع وذلك لأن العرب الفاتحين الأوائل منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدامهم البلدان المفتوحة أفهموا شعوبها ندائهم الخالد نداء نبيهم >> لا فضل لعربي على أعجمي إلا

بالتقوى ... >> وأنهم إخوان لهم لا أسياد عليهم وهذا ليس محض تفاخر بل هو ما شهد به كثير من المؤرخين ولعل أهم شهادة هي تلك التي شهد بها المؤرخ الروسي غوستاف لوبون حيث يقول >> ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب << وإذا كان بريق الإسلام وجذوته انبثق وزحف من الشرق ونالت عواصمه الذكر والفخر من دمشق وبغداد وسمرقند ومكة وأطراف آسيا، فقط أيلي أبناء المغرب الإسلامي أحسن البلاء في نشر الإسلام والدفاع عنه فقبائل البربر التي عادت الإسلام لأول وهلة انقلب أمرها من العداوة والحرب إلى الحب والاحتضان بعد أن لمس أبناء كسيلة والكاينة ما لهذا الدين وهؤلاء الفاتحين من أخلاق سامية وقيم نبيلة إذ تأكدوا أن هؤلاء الناس يختلفون عن الرومان وغيرهم من الغزاة الذين حاربوهم سابقا، وكان للبربر أبناء صنهاجة وملتونه وغيرهم من بطون البربر الفضل في نشر الإسلام وإكمال مسيرة النور إلى الأندلس وجنوب فرنسا ورفع راية الإسلام هناك، وعلى الجبهة الأخرى استطاع المثلثون أو الطوارق (المرابطين) إيصال تعاليم الإسلام إلى القارة السمراء وانتشر الحق بفضل تعاليمه السمحاء ودعوته للإخاء ومحاربة العنصرية ، ونجح في كسب قلوب الملايين من أبناء إفريقيا وانتشالهم من الضياع بعد أن كانت حياتهم نهبا للفوضى و الرق والحروب والعداوات ، ليدفعهم الدين الجديد للإسهام في بناء التاريخ وتسجيل بصماتهم على صفحاته بعد أن لم يكن لهم ذكر يذكر أو خبر يعاد، ويحفزهم لأول مرة لتشكيل دول لهم سادت ردها من الزمان في شرق وغرب ووسط إفريقيا، وكانوا قادة وأسيادا في أوطانهم على خلاف ما فعل بهم الاستعمار الغربي .

وإذا كان هذا حال الأندلس وإفريقيا الإسلاميتين فمن كان له الفضل بعد الله في إيصال النور إلى هذه الربوع.

لقد كان اهتمام المؤرخين منصبا على تلك العواصم و الحضارات والشعوب التي بلغت شهرتها الآفاق و كان حظ كل أمة من اهتمامهم بقدر اتصالها و قربها من البحر ومدن صناعة التاريخ و الحضارة الإنسانية، ولما كانت بعض الأمم والجماعات تعيش العزلة جغرافيا عن عواصم العالم وكان ذكرها

لا يرد إلا عرضا وبالمناسبة في المراجع التاريخية المشهورة دون المحلية (المخطوطات) التي أفاضت في ذكرها وهذا لا يعني البتة أنها لم تساهم في ركب الحضارة والنماء والرقى وإنما كان بعدها الجغرافيا الحائل دون رقيها المستوى المطلوب وخاصة تلك المجتمعات أو الجماعات التي استوطنت الصحراء والتي رغم قساوة الحياة فيها وعزلتها استطاع إنسانها أن يتعامل مع الطبيعة ويسخر عناصرها لخدمته ويوفر لنفسه كل أسباب العيش الكريم فلم يكن السكن في الصحراء عائقا وحائلا أمام الرقي والتحضر بل على العكس من ذلك كان مدعاة وحافزا شديدا إلى السعي الحثيث وراء الرزق واستثمار المال وطلب العلم، وإذا كان هذا حظ العالم الإسلامي من مشرقه ومغربيه أو قل حظ كل أقاليم وحواضر العالم الإسلامي من الرقي والنماء فما هو حظ وإسهام أبناء الصحراء الكبرى أي إقليم توات؟ أو تحديدا ما هو حظ عاصمة الإقليم تنطيط من المجد والحضارة؟ ومدى النشاط السياسي الذي قام في الإقليم حتى القرن الماضي؟ وسوف نتعرض في هذا المقال كذلك لعاصمة الإقليم لأن معظم الحراك السياسي والاقتصادي قد جرى بمدينة "تنطيط" التي لولا شهرتها وتأثيرها لما ذكرها العلامة ابن خلدون في كتابه "العبر".

مدخل:

1) أصل تسمية القصر:

يقصد من تسمية القصر أو القصر في مناطق الأطلس وجميع المناطق الصحراوية تلك التجمعات السكنية التي تشغل أحيانا مساحات صغيرة وتكون محصنة أو على الأقل تقع فوق أماكن مرتفعة¹ وليس ذلك المعنى الذي يراد به المكان الفسيح الذي يقيم فيه الأمراء والوجهاء فقصر تنطيط عاصمة الإقليم التاريخية إقليم توات المتكون من ثلاثة مقاطعات وهي (توات الوسطى وتيكورارين وتيديكلت) اختلفت الروايات التاريخية في تسميته إلى روايات محلية وأجنبية نذكر منها:

1- Despois (J), le djebel l'amour, presse universitaire de France, paris 1957p25.

أولاً: سميت توات لأنها تواتي للعبادة، وهذا سر سكنى كثير من الأولياء العارفين وهذا مما انطلق على لسان كثير من العامة.¹

ثانياً: وأما ما يحكيه قاضي توات سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي حيث يقول <<حكى عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طالبهم المهدي الموحي بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا: لم يكن أرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف، فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أثار الكروم ففعل، ثم باعه السلطان للبدو النازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة >>²

ثالثاً: وهناك رواية أخرى لأحد مؤرخي توات حيث يقول <<عندما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ولما عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة ووصلت خيله توات عام (62 هـ- 662 م) سأل جنده عن هذه البلاد، وهو يعني، توات، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاه المغرب فأجابوه بأنها تواتي (تلائم)، فانطلق اللسان بذلك >>³.

رابعاً: وأشهر الروايات الأجنبية للسعدي حيث يقول <<أن سلطان مالي (كنعان موسى) عندما رحل إلى الحج مر بتوات، فأصابه وجع في رجله في تلك المنطقة، وكان اسم المرض الذي أصابه بلغة أهل سنغاي توات⁴، ومهما اختلفت الروايات في تسمية الاقليم وأسبابها فهذا ليس غريباً فمعظم القصور التي تترامى على مساحة الاقليم وكأنها أرخبيل من الجزر اختلف الناس في سر أساميها فحتى عاصمة

-
- 1- الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة (أدرار)، 2003، ص 27.
 - 2- محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة بن ع الكبير، المطارفة (أدرار)، ص 03.
 - 3- محمد بن عمر الجعفري، نقل الرواة من أبدع قصور توات، مخطوط، زاوية سيدي حيدة، بودة، ص 05.
 - 4- عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1964، ص 07.

الاقليم والتي اختطتها قبائل البربر من زناتة ،اختلفت الروايات في تسميتها ولعل أشهرها روايتان حازتا الكثير من الشهرة في كتابات مؤرخي الإقليم فمنها: أولها: ان مدينة تمنظيط كانت بها فقارة تسمى بأهنوا والفقارة هي أقدم مصدر مائي للاستعمال الفلاحي بالدرجة الأولى ، وهي عبارة عن سلسلة من الآبار يتصل بعضها ببعض تنحدر مياهها من مستوى أرضي عالي الى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة فيجري عليها منسوب مياه الفقارة¹ افسميت تمنظيط وهي تفسير لكلمت "آتما"و"تيط" وهي اللهجة المحلية لزناتة ،فكلمت "آتما" تعني النهاية ،أما "تيط" فتعني العين بالعربية ،فكانوا يقولون لمن يريد الماء من القوافل التجارية أو المسافرين هناك في طرف القصر عين وهي فقارة أهنوا وهي الواقعة جنوب غرب قصر أولاد نسلام.

ثانيا: فهي لقاضي الجماعة التواتية حيث يقول <<تمنظيط>> هي كلمة مكونة من اسم أعجمي هو بلهجة زناتة يعني: "تمي" الحاجب، و"تيط" العين وبالعربية حاجب العين وهي بلدة من أقدم بلدان الصحراء² ويذهب رأي آخر إلى اعتبارها أنها في اللهجة الزناتية تلك العيون من الفقاقير التي انهمرت في ذلك المنخفض من الأرض الذي وإلى اليوم يشكل خليجا من النخيل تجري فيه فقاقير زناتة ومن سكن بعدهم تمنظيط.⁴

ومنهم من فسرها بقوله كذلك تعني بالزناتية "آمان" "تيط" أي عين الماء بالعربية.⁵

(1) الخليفة الجغرافية والسكانية للقصر:

1- عبد الله الاسماعيل، لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات، أنظر مجلة النخلة، عدد تجريبي، جويلية 2005 ص23.

2- عبد الكريم التمنظيطي، تقايد عن تاريخ توات، زاوية سيد البكري، تمنظيط، ص 2.

3-

4- عبد الله الإسماعيلي، المرجع السابق، ص23.

5- المرجع السابق ص23.

أ) الموقع الجغرافي للقصر:

تمنيط هي إحدى بلديات أدرار، وتبعد عن أدرار ب 12 كم وتعتبر الأقرب للولاية، يحدها شمالا كل من سبع وأدرار ومن جنوبها بلدية فنوغيل، وغربا بلدية بودة أما شرقا فكل من تمقطن وأوقروت.

وموقع تمنيط يشرف على مرتفع، وسبب اختيار القدامى من أهل الصحراء بناء قصورهم وقصباتهم في المرتفعات وترك بساينهم وواحاتهم أسفل القصر، يعود لضرورة السقي لمزروعاتهم والتي فرضها نظام السقي بالفقار، أما القصبات فضرورة الأمن من غارات البرابرة استدعت بناءها في المرتفعات.

أما تمنيط القديمة فهي تلك التي كانت تتكون من قصور وقصبات لازالت باقية وأخرى عفا عليها الزمن وربما كان ليد الإنسان فيها سبب سيبا إذا علمنا أن الحروب كانت تفرض مرات داخل الإقليم بسبب الصراع بين القبائل العربية والبربرية على رئاسة العاصمة تمنيط مركز القضاء، ولعل سبب زوال بعض قصباتها راجع لحملة المنصور السعدي¹ على تيكورارين ومركز توات وقد تضررت كثيرا قصور قورارة من هول القصف بالنار وخاصة القبائل التي عارضت الحملة وعقب هذا غزوه للسودان طمعا في مناجمها التي حوت الكثير من الملح والذهب.

أما قصور تمنيط القديمة هي:

1) تاهقة:

سكنه أولا اليهود وهو الآن بقايا من الجدران المهدومة وهو مهجور، وقد سكنته إحدى قبائل اليهود، وهم إحدى القبائل التي طالبها البربر بالإسلام فأبوا وبقوا على يهوديتهم مع قبائل أولاد يعقوب وأولاد أهالي² وقد سكنها العصفوني وبه قصر سيدي سالم وهو مقر قضاء الجماعة بعد جلاء اليهود وكلمة "تاهقة" تعني بالعربية العين الجارية.

1- نفس المرجع، ص23.

2- محمد بن عبد الكريم التمنيطي، تقايد في تاريخ توات، مرجع سابق، ص3.

(2) قصر أولاد ميمون:

إحدى قصور اليهود وقد هجروه بعد حرب المغيلي عليهم >> وهو الآن مندرس...وبه أثر عمران لا بنيان به<<، وكانت عادة بعض النسوان المحتاجات إذا آوين لذلك المكان يكيين ويشتكين الفاقة ربما وجدن لقيطا من ذهب يأتين به للمدينة ويبيعنه بمتاع يتقوتن به.¹

(3) قصر أولاد داوود بن عمر:

لم يبق منهم إلا بقية ضعافا وقصورهم الآن هي قاعدة أسواق تمنطيط، وبها الحدادون النجارون والدلالون العطارون² وقد سكنته قبيلة أولاد داوود العربية، ويرجع صاحب البسيط أن السمرة والأدمة تدل على أصولهم العربية.

(4) قصر أولاد أهالي:

من أقدم القبائل اليهودية التي وفدت للقصر وقصرهم يجاور أولاد يعقوب وكذا أولاد محمد >> وقد انحل أمرهم ونسبهم ولم يبق إلا رسم قصرهم واسمهم <<.³ ولا يزال الساعة مسجد بناه من سكنوا بعدهم يحمل تسمية هذا القصر، مسجد أولاد أهالي.

(5) قصر تايلوت:

بناه البربر من قبيلة لتونة إحدى بطون صنهاجة، وتعني كلمة "تايلوت" بالعامية "المزود"⁴ وهو من أقدم قصور تمنطيط بني بين سنتين (541هـ و542هـ) يقع محاذة لقصر أولاد أحمد.

(5) قصر أولاد علي بن موسى:

1- بابا حيدة، البسيط في إخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، 1977، ص15.

2- المصدر نفسه ص18.

3- نفس المرجع السابق، ص18.

4- المزود: كيس من الجلد تخزن فيه الحبوب.

شيدته قبيلة أولاد علي بن موسى وقد وفدت إلى تمنطيط¹ من بوسمغون وهم ينتسبون للأدارسة. وقد نزلوا بقصر بوملاح وهو القصر الذي هجره اليهود بعد فرارهم من المدينة بعد حرب المغيلي وشيعته، وهو القصر الذي بنى اليهود جدرانهم من الملح وقد أشار إلى ذلك "مالفت" حيث كان يقيم بالجنوب الغربي من مدينة تمنطيط

وقد نزل أولاد علي بن موسى تمنطيط وبنوا قصبتهم والتي كانت تحوي خمسة عشر دارا وكذا مسجدهم ذو الخمس صفوف، وكان من رؤسائهم الشيخ عمرو بن عبد الرحمان شيخ ورئيس الإقليم التواتي، ومن صلاحهم وأعلامهم سيدي بايوسف. (6) قصر أولاد نسلام:

يقع جنوب شرق تمنطيط حذو أولاد ميمون سكنته قبيلة أولاد نسلام إحدى قبائل اليهود وأسلمت لما طالبها البربر بذلك مع أولاد يحي وأغلاد.² ب) التركيبة السكانية للقصر:

تعاقب على سكان تمنطيط، قبائل عدة وفي مجملها قبائل البربر:

وهي القبائل البربرية التي وفدت للإقليم فرارا من مطاردة المرابطين من لمتونة الذين تعقبوا الفرع البربري من قبائل زناتة وهذه القبائل هي التي اختطت القصور التواتية ولا تزال هذه القصور تحمل أسماء بلغت أهل زناتة وحتى أسامي بعض فقاير تمنطيط ومنها وأكبرها فقارة آهنا (تقع الفقارة جنوب شرق تمنطيط).

فقد سكن البربر الإقليم حتى قبل وفود الإسلام إلى المنطقة بخمس سنين قبل الهجرة.³

1 - المصدر نفسه، ص. 23.

2 - (J) Oleil (touat au moyen age. Les juifs au Sahara.CNRS. ED ; paris ; 1994 P145.

3 - غيثاوي التهامي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى توات، ج 1 ط 1، الجزائر، 2003 ص. 14.

لكن بدأ توافدهم للإقليم بكثرة مع منتصف القرن الخامس الهجري وخاصة الفرع الزناتي الذي كان الغالب عليها وفي ذلك يقول ابن خلدون >> ومن قبائل مطغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون نزلوا بقصورها، واغترسوا شجرة النخيل على طريقة العرب، فمنهم بتوات قبيلة سجلماسة إلى تمنطيط آخر عمالها قوم كثيرون مواطنون مع غيرهم من أصناف البربر.¹

نزلوا بتيكورارين ووادي الجنة، وملئوا أرض توات، وتوالي توافدهم فوفدت أشهر قبائلهم حيث نزلت قبيلة أخروم عام (668 هـ. 1268 م) وكذا أولاد عياش عام (502 هـ. 1102 م) (22)، وسعدوا على البلبالي عام (518 هـ. 1118 م)

وتعتبر زناتة من " أشبه البربر حياة بالعرب لأن أكثرهم مواطنهم الصحراء ".² إذ تطبع حياتهم البداوة والرعي والبحث عن الكلاء والماء حيثما وجد بالصحراء لذلك كان أول نزولهم بوادي "غير" حيث قطعوا ثلاثة عشرة مرحلة من سجلماسة ونزلوا قصر بوده وقد وجدوا الواد قد جف فاخبروه وتيقنوا عودته لمجره فحفروا الآبار وزرعوا الفواكه والخضر، وخيموا بوادي المسعود الخصب واتخذوه مرعا لمواشيهم ونحتوا وصمموا الفقاقير وعلى ضفاف الوادي أنشأوا القصور والبساتين والجنان³

ومن قبائلهم أيضا بتيديكلت الصنهاجيون إحدى بطون البربر وأشهر فروعها لمتونة وقدالة ومسوفة وهم الرابضون على صحرائها ينتقلون بين أطرافها.

1- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 245.

2 - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2 ط 3 م.و.ك، الجزائر، 1989، ص 208.

3 - غيثاوي التوهامي، مرجع سابق، ص 14 و 15.

فجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب لا تبدوا منه إلا محاجر العينين، ولا يفار قونه في حال من الأحوال حتى أن الرجل لا يعرف وليه وحيمه إلا إذا تنقب ولو زال قناع قتيل لم يعرف حتى يعاد عليه القناع....¹
(2) العرب:

وفد العرب إلى تمنطيط وتوات عموما مع قدوم الفتح الإسلامي إلى المغرب وقد جاءوا بنية نشر الإسلام وإتمام الفتوحات الإسلامية فنزلت بعض عرب المعقل أفواجا كأولاد محمد أصحاب القصة والذين كانوا سندا للمغربي في حربه وقد ساسوا تمنطيط دهرًا وكان السبب في جلائهم مساندتهم للمغربي حيث تحالفت ضدهم قبائل البربر وأغلقت قصبتهم وسكنها البكريون.²

وكذا المحارزة وأولاد منصور وكذا غيرهم من عرب الساحل وقد قويت أعدادهم بعد أن استغلوا ضعف نفوذ أمراء بني مرين على هذه المناطق فاستقروا داخل الواحات التي كانت تقع في مجالات سيرهم بالصحراء.... وسرعان ما تمكن عرب المعاقيل من فرض نفوذهم الكامل على الإقليم، ولم يجد أمراء بني مرين مفرا من الاعتراف بالأمر الواقع.³
(3) اليهود:

وفد اليهود إلى الإقليم واستقروا بثلاث قصور بصورة مركزية تاحيفت وتيطاف وتمنطيط إلا أنهم ركزوا تواجدهم بكثرة في هذه الأخيرة، وقد زاد توافدهم بكثرة للإقليم تنامي إلى سمعهم جدوى وأهمية الخط التجاري الجديد الذي يمر بتوات من السودان مرورًا "بتمنطيط فتونس فأوروبا وهذا بعد أن تحولت الطريق تركوا تلك الطريق أي خط السوس، ولاته ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيط.⁴

1 - لحسن الوزان، وصف إفريقيا الشمالية من كتاب البلدان لليعقوبي، نشر هنري بيرس، الجزائر، 1967 ص 42.

2 - بابا حيدة، المصدر السابق، ص 17.

3 - محمد بن المبارك، تاريخ توات، مخطوط، أولاد بن ع الكبير، المطارفة، أدرار، ص 40.

4 - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مرجع سابق، ص 72.

وقد هاجر اليهود ثلاث هجرات منهم من وفد من شبه الجزيرة العربية، وكذا من العراق، أما آخر من وفد لتمنيط من العناصر اليهودية تلك الجماعات التي وفدت من المغرب والأندلس مع المسلمين وقد وفدوا في جماعات كبيرة وهذا ما يفسره كثرة قصباتهم بالقصر فكان تواجدهم في قصور توات وكذا تيكورارين، وقد ذكر القاضي البكري التمنيطي قصورهم وهم على قلتهم كانت لهم قصور خاصة بهم كقصر أولاد نسلام وآغلاد وأولاد يحيى لهذا فقط في تمنيط.

وقد استقر اليهود وبنوا قصورهم وقصباتهم ومارسوا التجارة بل احتكروها وخاصة أسواق الذهب والملح والعبيد والنحاس وهي أهم الموارد والسلع التي كان يكثر عليها الطلب خاصة في العصر الوسيط، وقد أسلمت هذه القبائل الأخيرة.

بعد أن طالبهم البربر بذلك، أما قبائل اليهود الأخرى كأولاد يعقوب وأولاد أهالي تاهقة هؤلاء من حاربهم المغيلي وهم من شري ذمم حكام وبعض قضاة توات وأجلاهم المغيلي من العاصمة التواتية تمنيط ولم يبق لهم تواجد بعد أن استقر المغيلي في قصر أولاد يعقوب وانتقل العصنوني ومجلس قضاته إلى تاهقة أما قصر أولاد أهالي فقد سكنه أولاد النجمي وغيرهم ففر من فر لسجلماسة ودرعه وتافيلالت.

4) الأفارقة:

وهم إحدى الطبقات التي استقرت في توات وقد جلبوا كعبيد وبيعوا بأسواق تمنيط، ولم يخل قصر أو مدينة منهم.²

وقد استعملوا لأعمال السخرة والفلاحة ورعي الإبل ولم يفرق الرق بين رجل أو امرأة وكان لليهود اليد الطولي في تجارة الرقيق، وعلى العموم وإن ساد التمييز الطبقي مجتمع توات إلا أن روح التأخي والتآزر التي جاء بها الإسلام جعلت النسب أو المرتبة الاجتماعية أو الغنى والفقر لا تمنع الاحترام والتوادر والتعاون بين أفراد سكان

1 - محمد بن ع الكريم التمنيطي، تقايد عن تاريخ توات، ص 05.

2 - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د.م.ج، الجزائر، 1977 ص 35.

القصر والإقليم عموما ويلمس ذلك الزائر إلى الإقليم، نظرا لتوحد النظام والعادات والتقاليد فالحياة يطبعها روتين واحد.

2-الأوضاع العامة للإقليم من القرن الخامس هجري على القرن الرابع عشر هجري:

الأوضاع السياسية:

أ) أوضاع الإقليم قبل الإسلام:

لقد ذكر الإقليم التواتي مند القديم من خلال كتب الرحالة والمسافرين أو غيرهم من ذوي المغامرة في الرحلة من المستشرقين أو الضباط المستعمرين.

فكان أول المؤرخين للإقليم المؤرخ اليوناني هيرودوت <<Hérodote>> حيث يقول وخلف منطقة ليبيا صحاري بلا ماء ولا حيوانات ولا أمطار ولا أخشاب وليس فيها أثر للرطوبة، وأسفلها لا يوجد إلا الرمال والجفاف والصحراء القاحلة.¹

أما الرحالة العرب والمسلمين ومنهم اليعقوبي واصفا الإقليم وسكانه حيث يقول ومن سجلها لمن سلك متجها نحو القبلة يريد السودان يسير مغازة وصحراء مقدار خمسين رحلة، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبيه من صنهاجة في الصحراء ليس لهم قرار يتلثمون بعمائمهم (يقصد الطوارق) ولا يلبسون قمصا إنما يتشحون بثيابهم ومعاشهم من الإبل ليس لهم زرع ولا طعام.²

لقد عرف الإقليم قبل الإسلام أنه مكان مليء بالواحات ومحطة عبور قوافل التجارة المتجهة للسودان.

فمدينة تمنطيط قديمة جدا، كانت عامرة في عهد الفراعنة، ومن سكانها القبط وهم المهندسون لبنائها حفروا الفقاقير ثم شيدوا عليها البلاد وإلى الآن نجد الكثير من قصورها يجري تحتها ماء الفقاقير وعمارتها التي هي عليها الآن من سبع مئة سنة

1 - عليق نابت ريحة، قصر ملوكة، دراسة تاريخية وأثرية، ماجستير علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر، غير منشورة، 2002/2001 ص 8.

2 - لحسن الوزان، المصدر السابق ص 17.

قبل الهجرة وكانت متصلة من نومناس (33) إلى آقبور (34)، غير أن تعاقب الزمان غير من مجراها التاريخي¹.

بناء على هذا الرأي >> فقصور توات كانت عامرة قبل الإسلام وخربت مع أننا نجد في تقايد أخرى أن القطر التواتي قبل الإسلام قفر لا عمران فيه...<<².

لقد استوطن توات قبل الإسلام البربر حيث >> كانوا ينزلون فيه بخيام من الشعر ويجولون أطرافه طلبا للرعي والعشب لمواشيهم، وقد سكن البربر الإقليم لخمس سنين قبل الهجرة وبنوا به قلعة محكمة على جبل كبير بتمنيط <<³.

ويذهب أحد مؤرخي الإقليم وأحد قضاته البارزين سيدي محمد بن عبد الكريم التمنيطي في تقايدته حيث يقول إن >> منطقة توات كانت تحت سيطرة حاكم سيطة وإفريقيا البطريك جريجوريوس الذي أعلن انفصاله عن ملك روما وألحق منطقة توات لحكمه لتوسيع ملكه <<⁴، فلم تعرف المنطقة ذكرا أكثر في كتب التاريخ قبل الإسلام سوى ما ذكرنا.

2- دخول الإسلام لتوات وبداية توافد القبائل:

دخل الإسلام توات مع الفتح الإسلامي للمغرب وسبب تسمية الإقليم باسمه وهو إحدى روايات تسميته لأنه عند وصول خيل وجند عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب ووصل إلى توات عام (62 هـ . 662 م) استفسر عن البلاد هل تواتي لنفي عصاه ومجرمي المغرب ف قيل له نعم فسميت منذ ذلك التاريخ بتوات⁵، ومنذ تاريخ دخول الإسلام تجاذبت الإقليم تأثيرات الدول الإسلامية المتعاقبة التي حكمت

1 - هذه الرواية خلاف الرواية التي ذكرناها من أن الإقليم كان قفر وأن مهندسو الفقائير هم البربر وهي كلها روايات مدونة في كتب ومخطوطات مؤرخي توات المحليين.

2 - الشيخ مولاي التهامي، النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، منشورات ANEP، الجزائر 2005 ج1 ص13.

3 - بن عبد الكريم التمنيطي، تقايد عن تاريخ توات، مرجع سابق، ص04.

4 - ع الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى، عين مليلة، 2005 ص18.

5- محمد بن عمر الجعفري، نقل الروايات من أبداع قصور توات، مخطوط بودة، زاوية سيدي حيدة، ص05.

المغرب ، وكان للمرابطين وزعيمهم عبد الله بن ياسين المرابطي الفضل في إتمام دخول الإسلام ربوع الصحراء ، فقد كان الثاميون الصنهاجة وثنون، وأسلم بعضهم على يد بن نافع ، ولم يعمهم الإسلام إلا القرن الثالث ، ولكنه إسلام إسمي ، ولم يأخذوا به حقيقة وعملا إلا في القرن الخامس على يد عبد الله بن ياسين الجزولي¹، وكان لظهور دولة المرابطين الآخر السيء على قبائل زناتة ، حيث بعث فقهاء مدينتي درعة وسجلماسة لزعيم المرابطين بن ياسين المذكور شاكين ظلم وفساد أمراء مغراوة ، ففضى المرابطون على إمارة بنو يفرن ومغراوة إحدى قبائل زناتة وذلك في وسط القرن الخامس هجري ، وقتل أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي، ففر الباقي من زناتة إلى الصحراء ونزلوا بجراة ووادي الحنة بعد أن تنامى الخبر من زناتة إلى باقي بنو قومهم من عديد القبائل البربرية وكذا العرب، أن الأمن يوجد بالصحراء حيث الواحات والماء ، فظهر لهم سكن هذه الأرض بعد أن لمسوا صلاحيتها للغرس والفلاحة وكذا المرعى فابتدروها وبنو قصورهم على طرف وادي المسعود²، ثم تلى مقدم البربر قدوم القبائل العربية من عرب المعقل و الساحل أفواجا إلى الإقليم، وتحالفت بعض القبائل البربرية مع العرب ضد بعض البربر يظهر في عام (518هـ . 1118م) عصر جديد عصر سيطرة العرب ممثلين في أقوى قبائل العرب أولاد محمد ، بعد أن نشب صراع مرير على الرياسة نتج عنه انقسام البلد إلى كتلتين سفيان وأحمد وفي ذلك يقول أحد مؤرخي الإقليم والعجب كل العجب أن تجد بلدين مختلطي النخيل والمرافق بحيث يسمع كل واحد منهما مؤذن الآخر، والأعجب من هذا إذا اجتمع شخصان فأخبر أحدهما الآخر بأنه من صف سفيان وكان هو من صنف يحمد كرهه أشد الكراهية ولعمري إن ذلك لعداوة شيطانية.³

وقد كان لبعد الإقليم عن مواقع النزاعات والصراعات ووجوده في قلب الصحراء مكانا وملاذا آمنا لكثير من قبائل المغرب العربي التي أثرت الابتعاد عن

1- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 217.

2- محمد بن ع الكريم البكراوي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، ص 04.

3- مولاي التهامي، المرجع السابق، ص 15.

الصراعات السياسية التي عصفت بالمغرب الأقصى وخاصة في أيام الفاطميين والمرابطين الذين تعقبوا الفرع الزناتي من القبائل البربرية ، وكان مقدم العرب الهلاليين وعرب المعقل إلى الإقليم بعد حلفهم مع زناته بعد أن أعجزهم وقوف عرب بن سليم لهم وسكنوا رمال تافيلالت بالمغرب ثم زحفوا على توات وأقاموا في القفار وتفرّدوا في البيداء فنموا نموا لإكفاء له وملكوا قصور الصحراء التي خطتها زناته بالقفر مثل قصور السويس غربا ثم توات ثم بودة وتمنيط ثم وركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار...¹

(3) مقدم اليهود وحرب المغيلي معهم:

كان من ضمن القبائل التي هاجرت إلى الإقليم مع العرب والبربر القبائل اليهودية التي بلغت الأنباء إلى المغرب عن وجود خط اقتصادي يعتبر الشريان الأساسي لتجارة القوافل الصحراوية وهو الخط الرابع بين حقلية وجنوه فتونس فتوات مرورا بغدامس إلى عين صالح إلى آقبلي بأولف إلى توات فسجلماسة بالإضافة إلى طرق عدة كلها تمر بتمنيط²، فكان منزعهم هو السيطرة على تجارة القوافل وخاصة الملح والذهب والعييد، فاستقر اليهود وبنو لهم قصور خاصة بهم عبر الإقليم وركزوا تواجدهم بتمنيط فبنو بها قصبة أولاد نسلام وآغلاد وأولاد يحيى، وقد لاحظ هذا الأمر الرحالة الألماني مالفنت (Malfante) حينما زار تمنيط بدافع الاستكشاف قبل وفود المغيلي بنصف قرن من الزمان حيث يقول يتكاثر اليهود هنا وتسير حياتهم في سلم وظل الرؤساء الذين يدفع كل واحد منهم على أتباعه، ولهذا يتمتع اليهود بحياة سهلة وتسير التجارة بواسطتهم، ويضع الكثيرون منه (يقصد أهل توات) ثقتهم فيهم³. ولهذا الأمر أشار مؤرخ إقليم توات القاضي محمد بن عبد الكريم التمنيطي حيث يقول: ...كان أغلبية التجار يضعون على رأس

1- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 59.

2- التهامي غيثاوي المرجع السابق 10.

3-Jakob oleil. OP CIT, P 86.

قوافلهم يهوديا...¹. ووصل الأمر باليهود حد الطغيان واستمالة بعض حكام ومشايخ توات ووجهائها والسيطرة على الأمر بالقصر والتحكم في موارد البلاد وأموالها حتى مقدم شيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي فر من تلمسان قاصدا توات للدعوة لله والنجاة من الفتن التي عصفت بتلمسان في زمانه وبعد أن لاحظ التعفن السياسي الذي ساد عرش بني زيان والتفسخ والانحلال الذين يعمان مجتمع المدينة وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد وموانئها، وضد كل بلدان المغرب العربي شرقا وغربا، ولاحظ المغيلي كذلك خروج الأمراء عن الجادة الإسلامية وانغماسهم في الملذات فتضايق من العيش هناك وتاقت نفسه للهجرة إلى حيث يكون في مقدوره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر²، فشد الرحال لتوات بعد وصية شيخه له عبد الرحمن الثعالبي للتوجه إليها بعد التضييق على الفقهاء والعلماء بعد محاولة اغتيال السلطان الزياني محمد المتوكل فأثار هذا سخطه.³

وما إن وصل المغيلي ووطأت قدماه أرض توات وبدأ بالاتصال بأهلها وحاط به طلبة العلم ووضحوا له الأمر، ورأى هو ما رأى وجد الوضع كتلمسان أو أشد خطورة من ذلك حيث رأى من يهود توات تجاوزا للحدود الشرعية واستعلاء على المسلمين، حتى أنهم أكثروا التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السلطان، كما أنه رأى تساهلا من المسلمين مع هؤلاء اليهود حتى كان الواحد منهم يقربه (اليهودي) من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله ويجعل بيده ما شاء من ماله مع أنه لا دين له ولا مروءة.⁴

1- محمد بن عبد الكريم التمنيطي. تقايد في تاريخ توات، مرجع سابق. ص. 11

2- أحمد بابا التمكني، الابتهاج بتطريز الديباج، فاس، 1889، ص 325.

3- الحسين مختار، أضواء على حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي أشهر تلامذة سيدي عبد الرحمن الثعالبي. رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2005 عدد 02، مارس 2005 ص 86.

4- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الجزائر، 1968، ص 13 و 14.

لقد جمع المغيلي أنصاره من المؤمنين من كل ربوع توات الذين كرهوا الوضع بعد أن رأوا اليهود وطغيانهم، واتجه معهم في قوة عظيمة لهدم كنائسهم وبيعهم بعد أن تناولوا في بنائها ونسوا أنهم في الأرض إسلام لا مملكة يهودية فطردهم المغيلي وحاربهم بعد أن أنذرهم ونهاهم عن تطاولهم ولما أحس اليهود الجدد من الإمام لجئوا لمن كانوا يدفعون لهم من المشايخ والوجهاء، والذين رفعوا الأمر للقاضي العصنوني قاضي الجماعات التواتية الذي عارض الشيخ، واشتد الجدل بينهما وأصر العصنوني على أنهم أهل ذمة راعي الإسلام حقوقهم، أما المغيلي فقال أن هؤلاء اليهود سقطت منهم وصف الذمة الشرعية المقصودة بسبب جرائمهم واستعلائهم على المسلمين، ووصل بهم الأمر أن ضربوا عملة ذهبية خاصة بهم¹، وأمام هذا الصراع بين الفريقين فريق تمثل في شيخ الإقليم وحاكمه عمر بن عبد الرحمان والشيخ عبد الكريم المغيلي، فريق يرخص لليهود بالإقامة، أما المغيلي أعلن موقفه صراحة برفض بقائهم ونزع صفة الذمة عنهم وأعلن ذلك في قصيدته معبرا فيها عن آرائه قائلا:

برئت للرب الودود	من قرب أنصار اليهود
قوما أهانوا دينهم	وأكرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شينهم	وخبث أصل صنعهم
قوما أهانوا دينهم	وأكرموا دين اليهود
يا ليتهم لو دبوا	واسترجعوا واستغفروا
وستر ما أظهروا	من نصرهم رهط اليهود
لا شك أن الحق نور	في كل سوق لا يحور
ينصره الرب الشكور	على النصارى واليهود
فيا إلهي بالنبي	المصطفى الهادي النقي
وكل قطب وولي	شمت بأنصار اليهود
صب البلا من فوقهم	والحق بقايا رزقهم

1- مقدم مبروك، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والمراجع التاريخية، دار الجزائر كتاب، تلمسان (الجزائر)، ط 1، 2002، ص 21.

وافتح لهم من حقهم بابا إلى نار الوقود
ثم يستثني بالدعاء عليهم:

إلا الذين استغفروا وجبروا ما كسروا
وبينوا ما ستروا حتى استقامت الحدود
فأغفر لهم ما قد مضى وأكتب لهم منك الرضا
وعجلن لمن قضى منهم لجنات الخلود.¹

وأمام عدم قناعة الطرف الآخر بمسعى المغيلي وحججه قرر كل من الطرفين مراسلة علماء الإسلام، فأرسل المغيلي رسالته إلى كل العلماء الذين عرفوا في زمانه شارحا ومبرزا حججه إلى علماء فاس خاصة، فقرؤوه ومنهم من مدح موقفه ومنهم من خالفه، وتركت الحادثة صدى كبير بالمغرب الإسلامي وعرفت "بقضية يهود توات" فأيده الحافظ التنسي وكذا الفقيه السنوسي.²

ورغم كل ما وصل للمغيلي من الردود الحسنة المعززة لمسعاه واجتهاده وما كان يصبوا إليه هو وأتباعه، إلا أن المغيلي لم يهدأ له بال ولم يغمض له جفن حتى جهز راحلته وانطلق يشق الطريق لعاصمة العلم في ذلك الزمان فاس وبعد وصوله إليها عام (891 هـ . 1491 م) ليلتقي مخالفيه ليقارعهم بالحجج والبراهين ويبين وجه الرأي لديه بعد أن حمل جماعة من مماليكه الفقهاء وقد كلف المغيلي أحد أمهر فقهاء الممالك وكان اسمه ميمون وطلب منه تفصيل المسألة، وحينما رأى العلماء المخالفون ذلك رجعوا لديارهم ورفضوا الحديث مع المملوك محتقرين له³، وقالوا للسلطان في غيبة المغيلي عنهم إن هذا الرجل مراده الظهور والملك وليس مراده الأمر بالمعروف

1 - عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص 61 و 62.

2 - أحمد الونشريسي، والمعيان العرب عن فتاوي علماء إفريقية الأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، ج 2، ط 1، 1981، ص 130.

3 - ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر أولياء تلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 249.

والنهي عن المنكر¹، وحين قصد المغيلي السلطان وسلم عليه قاطعه قبل أن يتم حديثه متهما إياه بالسعي وراء الملك فقال المغيلي والله ما عندي إلا هي والكنيف سيان²، وأنصرف معاهدا الله أن لا يجلس عند السلطان ممن يجاري أهل الباطل وقفل راجعا لتوات حيث استخلف ابنه عبد الجبار نائبا عنه في القضاء وترك رسالة لجمهور مدينة تمنطيط ولتلامذته الذين بايعوه بالولاية الشرعية وشد الرحال قاصدا بلاد السودان حيث نزل بتقده وحفر بها بئرا وبنى بها مسجد الكرامة³، داعيا لله بربوعها ناشرا الإسلام ومختلف علومه ومخلفا العديد من الكتب، حيث التقى هناك سلطان السودان الأسقيا محمد وألف له كتابا حول أحكام الشرع وقواعد الإسلام، وأثناء تواجده بالسودان وصله خبر اغتيال ابنه عبد الجبار فاستاء المغيلي واستأذن الأسقيا بالرجوع لتوات فأذن له ووصل لتوات مطلع عام (909هـ . 1515م) فوجد أن حاكم توات قد أرجع اليهود بدعوى تعطل مصالح الناس التجارية اعتمادا على فتوى العصنوني، فزحف المغيلي بجيش عظيم قاصدا ديار، وقصور اليهود فتصدى له الشيخ عمرو بن عبد الرحمن حاكم الإقليم وكانت الغلبة لهذا الأخير وانهمزم المغيلي ومعه من شايعة وصفد قصر أولاد محمد وطردوا، أما المغيلي فقد استضافه أهل بو علي بزاوية كنته وأحبوه ومكث معهم شهورا إلى وفاته في نفس السنة (909هـ . 1515م) بعد عمر من العطاء والجهاد و الرحلة في طلب العلم والدعوة والتدريس، واستمر اليهود في البقاء في توات بعد المغيلي لكنهم لم يسلموا من مناوئة ومقاومة تلامذة وأحبة المغيلي وأتباعه حتى أسلم من أسلم وغادر من غادر.

4) بداية أطماع أحمد المنصور السعدي في توات:

بعد أن تحولت طرق القوافل التجارية من السوس وولاته إلى تمنطيط عاصمة الإقليم حيث يقول ابن خلدون " لما صار الأعراب من البداية يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقهم، فتركوا تلك الطريق أي خط السوس، ولاته، ونهجوا الطريق إلى

1- نفس المصدر، ص 249.

2- نفس المصدر، ص 249.

3- مقدم مبروك، الإمام عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق ص 101 - 106.

بلاد السودان من أعلى تخطيط¹، أدى هذا التغيير إلى تحريك الأطماع المغربية أيام دولة السعديين حيث أن سلطان بعد أن تحولت طرق القوافل التجارية من السوس وولاته إلى تخطيط عاصمة الإقليم حيث يقول ابن خلدون " لما صار الأعراب من البداية يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقهم، فتركوا تلك الطريق أي خط السوس، ولاته، ونهجو الطريق إلى المغرب مولاي أحمد منصور الذهبي جر عليهم جيشا قاومهم التواتين بشدة وحزم كبيرين²، وذلك عام (990هـ . 1590م) ومنى الجيش المغربي بفشل ذريع بسبب مقاومة الأهالي لهم حيث لم يعهد التواتيون أن يحكمهم أحد أو يسيطر عليهم حيث يقول صاحب البسيط... أهل تخطيط على شهوة في الزعامة إن لم يملكوا فلا أقل من ألا يملكهم أحد³ فأهل تلك البلاد قد أنكفت عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادهم سلطان قاهر إلى ما يراد منهم⁴.

وبقيت فكرة غزو توات وبلاد السودان تراود فكر المنصور للسيطرة على توات ومناجم الذهب والملح، فعاود الكرة عام (991هـ . 1591م) واختار لقيادة حملته حاكم فاس أبي عبد الله محمد بن بركة وحاكم مراكش أبي العباس بن الحداد العمري، وتواعد القائدان اللقاء بسجلهاسة واتفقا على غزو تيكورارين أولا وذلك لما كانت أحد شكوتها واعتمدوا تميمون فنزلوا عليها بعد سبعين مرحلة من مراكش⁵.

وقد نكل العساكر في السكان العزل وأطلقوا أياديهم للنهب والسلب وقذفوهم بقذائف النار والتي أتت على كثير من الحصون والدور وقطعوا مئات النخيل وخربوا كل ما جاء في طريقهم من البساتين، بعد أن أبدى لهم سكان تيكورارين بقصورها مقاومة بأسلة والتي لم تصمد طويلا أمام ما جلبه طاغية عصره المنصور من أسلحة لا

1- عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مرجع سابق، ص 72.

2- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مرجع سابق، ص 117.

3- بابا حيدة، مرجع سابق، ص 27.

4- أحمد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة، 1904، ج2، ص 98.

5- مقدم مبروك، الإمام المغيلي...، المرجع السابق نص 74.

قبل ولا عهد لأهل الإقليم ومحاربوه بها وأبلى القوم في الدفاع عن أنفسهم من وراء الجدران، وامتنعوا عن إلقاء اليد فأذاقهم العساكر نكال الحرب، وأرسلوا الصواعق عليهم عامة يومهم ووصلوهم بالنهار¹، واقتيد أعيان وشيوخ قورارة إلى الأسر ولما تنامى لحاكم الإقليم حفيد الشيخ عمرو بن عبد الرحمان عقد اجتماعا طارئا ضم قضاة توات وأشرافها من القبائل العربية والبربرية وطلب الرأي قبل وصول الخطر أبواب تمنطيط، فأشاروا عليه بطلب الأمان فاستوثق منهم لنفسه وقومه بها أراد²، إلا ما كان من عرب قصبة أولاد عبد الله فإنهم رفضوا الاستسلام فأبادوهم وحيواناتهم وسووا بقصبتهم الأرض³، وبعد هدوء العاصفة وانتهاء العدوان واحتلال البلاد ثبت الشيخ عمر بن أحمد بن عبد الرحمان فتمهدت له الأرض واتخذ السجون وقاتل البغاة (معارضى الاحتلال المغربي) من رؤساء توات.⁴

ولقب هذا الحاكم عمرو الأصغر وقد هلك صباح الثلاثاء سادس شهر جمادى الأول (1014هـ 1614م)، ثم خلفه الشيخ العياشي بن عبد الله بن عمرو، إلى أن وصل الأمر إلى الشيخ الحسن ابن الشيخ باحموا بن الحاج محمد⁵، فلم يستقم له الأمر ولم يجمعوا عليه بسبب جرائمه فعزلوه وولوا عليه الشيخ أحمد بن الشيخ باحموا بن عبد الرحمان بعد أن تحالف مع إحدى قبائل توات (أولاد أملاك)، وبعد هذا التاريخ لف الإقليم النسيان من قبل حكومة المغرب شأنه شأن الجنود المغاربة الذين دفعهم طمع المنصور إلى غياهب السودان بعد أن تأكد المنصور أن عمله لا طائل من ورائه، يبدو أنه لم يعد يهتم بالبلاد وأهمل شأنها بعد ذلك⁶، ومن الأمور التي شهدتها الإقليم التواتي نهاية القرن السابع عشر ميلادي انتقال عاصمة الإقليم من تمنطيط إلى تمي (

1 - السلاوي المصدر السابق ص 74.

2 - المصدر نفسه، ص 74.

3 - المصدر نفسه، ص 74.

4 - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، أضواء على إقليم توات مخطوط، ص 161.

5 - ابن أحد قادة توات وهو عبد الله بن عمرو أحد أبناء الشيخ عمرو بن عبد الرحمان.

6 - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1992 ص 95.

أدرار الحالية) بعد صراع طويل بين قبائل أولاد أحمد بتيمي وبين قبائل أولاد داوود بن عمرو وأولاد يحيى من تمنظيط.¹

ولم يأفل نجم تمنظيط حاضرة توات بتحويل السيادة عنها بل استمر إشعاعها العلمي والثقافي واحتضانها لأسواق القوافل التجارية القادمة من كل مكان حتى قدوم الاستعمار عام 1900 الذي كان استدمارا حقيقيا لتجارة القوافل الصحراوية حيث استعاض المستعمرون عن التجارة بنهب ثروات الأفارقة وتوجيهها لموانئهم وأسواقهم مجانا والتفتت فرنسا للإقليم بعد إحساسها بالخطر الذي كان بمثله حيث كان مركزا لعبور الأسلحة والمجاهدين.

1 - محمد ابن المبارك، تاريخ توات، مخطوط، ص 06.

المصادر والمراجع

أ) المخطوطات:

- 1) - محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة بن ع الكبير، المطارفة (أدرار).
- 2) - محمد بن عمر الجعفري، نقل الرواة من أبداع قصور توات، مخطوط، زاوية سيدي حيدة، بودة، ص 05.
- 3) - عبد الكريم التمنيطي، تقايد عن تاريخ توات، زاوية سيد البكري، تمنيط.
- 4) محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنيطي، أضواء على إقليم توات، زاوية تمنيط، الجزائر.

ب) المصادر والمراجع:

- 1) عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، ج 6، بيروت، 1983.
- 2) عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1964.
- 3) مقدم مبروك، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والمراجع التاريخية، دار الجزائر كتاب، تلمسان (الجزائر)، ط 1، 2002.
- 4) -Despois (J), le djebel amour, presse universitaire de France, paris
- 5) - (J) Oleil (Touat au moyen âge. Les juifs au Sahara. CNRS. ED ; paris ; 1994.
- 6) عبد الله الاسماعيل، لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات، أنظر مجلة النخلة، عدد تجريبي، جويلية 2005.
- 7) بابا حيدة، البسيط في إخبار تمنيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، 1977.
- 8) عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، في القرن 9هـ إلى 14هـ، دار الهدى ع مليلة، 2003.

- (9) غيثاوي التهامي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى توات، ج 1 ط 1، الجزائر، 2003.
- (10) أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تحقيق حماد الله ولد السالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013.
- (11) الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة (أدرار) 2003،.
- (12) أحمد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة 1904،.
- (13) أحمد الونشريسي، والمعيار العرب عن فتاوى علماء إفريقية الأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، ج 2، ط 1، 1981.
- (14) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1992،.
- (15) ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر أولياء تلمسان، المطبعة الثعلبية، الجزائر، 1908.